نقد شامل [1]

بقلم الدكتور عزة النص

لعلك اخطأت يا صديقي في العهدة الى من لم تدركه حرفة الادب بنقد العدد الماضي من « الآداب » .. فالمحترفون احذق يداً في الكشف عن مهاد الذهب ، وأملك لمعايير الوزن والتقييم . فما علي اذن ان اطوف في اروقة الشعر والقصص كما يطوف الهواة الغمر ، أترجم عن استئناس القلب بتمتمة الاعجاب ، وعن وحشته بازورار العين ، وأخلص من ثم الى ميدان « المقالات الفكرية » .

وهل علي من حرج اذا بدأت بالتساؤل عن نصيب الادب وسائر الفنون الرفيعة في دعاوتنا القومية ، وعن الانتصارات الفكرية التي تدعم مصيرنا السياسي ؟

الحق ، انه نصيب بالغ الهزال ، ومعركة فنية واحدة نكسبها في المدى الدولي تعدل ألف ظفر في مجالات السياسة والحرب.

واذا لم يكتب لادبنا بعد ان تكون له اصداء خارجية ، فلا اقل من ان تتوفر له مشاركة داخلية . وليس ثمة من ريب في ان الشعوب العربية تخطط الان منعطف تاريخها . بل لا اشك في ان الايام التي نعيشها سيضعها المؤرخون في بداءة تاريخنا الآتي. فاين لبنة الادباء في هذا البناء ؟ وهل يشف ادبنا عن هذا التحول الضخم ؟ هل يسجل تاريخ ادب العرب اليوم ثورة مماثلة لثورة تاريخ العرب ؟

لا زلنا نرتقب الاديب الذي ينسج الغد المأمول، ويدفع بقضيتنا الكبرى بضعة اميال الى الامام .

الشعر الجديد

ولا يجدر ان امعن في التجني ، فالحق ان نبتاً زكياً بدأت تنعقد ازاهيره في سهوبنا المغبرة . والشكر لمجلة « الآداب » على تخيرها لعبقري البراعم .

ففي العدد الماضي قصائد معجبة تساير الواقع العربي في احداثه الجارفة وفي نزعته الانطلاقية . واكثرها باقات من الشعر الجديد المتحرر من أخطبوط القوالب العتيقة .

واعترف انني كنت اشفق على الشعر الجديد ان لا ينتزع الخلود ، فقد كانت ولادته لا تطمع في بقائه ، وتبدّى حين تبدى نضواً مهزولاً ، تموزه الركيزة الفنية والرجع الموسيقي ، فكأن رواده الاول في نقمتهم على إسار الشعر القديم قد انجرفوا الى التحلل من كل قيد ، حتى قيد المعنى .. ولا اعرف فناً لا يعرف القيد ، بل لعلي لا اخطيء اذا زعمت ان الفن هو القيد : قيد القواعد في ربط الالفاظ او مزج الالوان والانغام . والتطور في الفن هو تغيير قيد قديم معاف بقيد جديد غير مألوف . وقد بين صديقنا الدكتور عبد القادر القط – في العدد الماضي من « الآداب » – ان الشعر الجديد أخذ يخضع لقوالب تتكرر في معظم القصائد ، وتكاد تطبع الشعراء الجدد جميعاً بطابع واحد .

ومهما يكن الامر ، فان الشعر الحر – بقيوده المستجدة – قد أثبت حقه في الوجود ، وهو سيعيش الى ان تمله ونتلهف الى صنوف من القيود جديدة ...

واذا رجونا ان يلتحم الادب مع كيان المجتمع ، فليس يعني ذلك اننا نحب له ان يقصر هدفه ويحد مداه . ولن يؤدي الادب رسالته اذا انكمش في الحدود التي يريدونها له . وليس المجتمع السوي الذي نطمح من الادب ان يسهم في خلقه مجتمع محتاج الى من يلهب حماسته القومية فحسب ، بل هو مجتمع يعوزه جمال الحب ورفيف الخلق وتهذيب النفس وامتداد الخيال ورهافة الحس واستعلاء الهمة . وكل نوع من الادب يفي بواحد من هذه المطالب فهو موف حق المجتمع عليه .

وأحسب ان ما تقدمه « الآداب » من نماذج ادبية خالصة لا ينقصه جمال التنوع ، وان كنت احياناً آخذ على رياحينها تحاكي اللوينات وتشابه العبق ..

وفي العدد الاخير قصيدة تصويرية للأستاذ بدر شاكر السياب يهديها الى زعيم الانتفاضة العربية في الجزائر مصالي الحاج ، وهي تقوم على فكرة من فكر «مارلو» في ان الحياة هي التشبث بالحياة . فقد صور الشاعر غفوة العرب بقبر دفنّا فيه مع الهنا ونبينا . ولم يبق من آثارنا سوى انقاض متذنة معفرة ، ثم عاودتنا عزة الحياة فنفرنا من القبور مهللين الى الجهاد واذ بالهنا فينا ونبينا معنا . والصورة كلها حارة نابضة ، ولا يضيرها في شيء ان بعض مقاطعها تقليدية الوزن .

وثورة الجزائر المتأبية تتنزى دماؤها وتخفق اعلامها في قصيدة « ثائر وحب » للاستاذ ابي القاسم سعدالله:

.. وهذه الجموع زاحفه
بعزمة كالعاصفه
خفاقة البنود
الى الغد المنشود

ونعود الى حديث القبور والنشور في مقطوعة الاستاذ سمير صنبر « حتى النفس الاخير » والقصيدة هنا تصف جراحاتنا في فلسطين – وما اكثر جراحاتنا – وثأرنا القريب :

بالامس كانوا يحفرون قبورنا خلف السدود

---

١ عهدت « الآداب » الى الدكتور النص في ان ينقد « الابحاث » جرياً على خطتها الجديدة في تجزئة النقد الى ابواب . ويظهر ان سوء تفاهم قد حصل بين الناقد الكريم والمجلة ، فأرسل نقداً شاملاً للعدد ننشره زيادة في الخير والبركة ..

« قلم التحرير »

وغداً سنحفر قبرهم .. شيء جديد ؟

فرعون انتهى .. نيرون مات
لم يبق الا مجد ابناء الحياة

لولا الشعور
لكنت قوقعة تدور
على القبور

والمقبرة تحتل مكانها ايضاً في قصيدة «هي والحرية والآخرون» للاستاذ كاظم جواد ، وهي هنا ايضاً مرحلة تسبق مرحلة الامل والخصب والحب والعزة .

والنسمات الرخية تنشقها في مقطوعة «لحن» للاستاذ صلاح الدين عبد الصبور . فهذا المصباح الوحيد الذي يحمل عبء مولده في العتمة ، وهذه الجارة التي تمد الى الشاعر من شرفتها حبلاً من نغم .. هي تهاويل بارعة تحمل خاتم العبقرية الاصيل .

القصص

يعجبني في القصة القصيرة انها لا تزحم المواقف ، ولا تضطر الى افتعال الحوادث . وحسبها عقدة واحدة تضمها في جوها المحدود ، وتحاول تتبع مساراتها وتشابك خيوطها .

ولكن الاستاذ مطاع صفدي سلك نهجاً آخر في قصة « دقت الساعة منتصف الليل ».لقد اراد ان يروي قصة راقصة من جبال الاندلس قال لها جدها انها من اصل عربي ، فحلمت بزيارة بلاد العرب والرقص في ربوعها ، وحققت املها الكبير ، ولقيت المؤلف في حانة ، وراقصته واحبته ، ثم سافرت مع فرقتها ، وخرج يودعها الى الطائرة ، فحاولت باكية ان تشده معها .

هذه هي القصة ، وكان يسيراً على المؤلف – بخياله الخصب وصوره الدافقة وادائه المتمكن – كان يسيراً عليه ان يجتزيء بذلك . غير انه جعل من القصة ثلاثاً ، واضاف اليها اجواء دخيله بينة الاقحام : كان مع شلة من الصديقات والاصدقاء في سيارة تنقلهم الى حيث يقضون سهرة رأس السنة ، فتركهم فجأة ودخل وحده الى ملهى متواضع ، وجلس وحده يعب اقداح الويسكي ، ورفض بغضب ان يجلس الى منضدته اباشة من رواد الملهى الحافل ، واخذ يجتر بعينيه راقصة افرنسية تتلوى في الحلبة ، ثم جالسها وبادلها الكؤوس وراقصها .. ولكنه كان بعيداً عنها بروحه . يراقص جسدها وهو يفكر براقصة اسبانية كان له معها شأن قديم ...

هذه القروية الاسبانية السمراء هي مدار القصة .. عرفت انها من اصل عربي ، وتزوجت من عالم آثار افرنسي ... واطلعت بطريق الصدفة ... على مقال طويل كتبه في مجلة الآثار ... ينفي فيه اصالة الفن العربي في الاندلس ... فناقشته – على جهلها – وكذبته ... ثم ضاقت ذرعاً به وباصدقائه العلماء .. وتركت بيته وسافرت مع فرقة راقصة تجوب بلاد العرب .. حتى تلتقي بالمؤلف وترتبط قلبها به بعض الزمن .

فلم لم كل هذا ؟!

اما ملهاة « معرفة قديمة » للاستاذ عبد الغفار مكاوي ، فابرز ما فيها رشاقة الحركة وفجاءة الاجوبة ، لكن عنصر الفكاهة فيها زهيد زهيد ...

الأبحاث

معضلة الترجمة

لن تجد يا صديقي سهيل من يعارضك في حاجة ادبنا الملحة الى ترجمة روائع الادب من الغرب والشرق . فقد ترجم اوائلنا في القرون الوسطى كتب الفلسفة والعلوم . وظل ادبنا وحده بمنأى عن التمازج العالمي ، وهكذا تجمد افقه وقل تنوعه وافتقرت اغراضه . واذا اردنا لهذا الادب القاً جديداً فلن يكون ذلك الا بفتح اقنية له على خضم الآداب الاخرى . ولن تجد ايضاً من يعارضك في ان اكثر المتصدين للترجمة اليوم لا يملكون أداتها . والترجمة تتطلب حتماً من العدة والمواهب ما يتطلبه الابداع .

واعتقد ان خطأ مطبعياً وقع في جملتك التي تقول فيها : « الحق اننا نقبل على الترجمة ، من حيث الكم ، إقبالاً شديداً جداً يكاد لاول وهلة يوحي بانه خطر على الابداع او الانتاج الذاتي . ولكننا نحسب ان ليس في ذلك أي خير ، حتى ولو كان هنالك من يسيء الترجمة عن اللغات الاجنبية الى اللغة الام » . فانت قصدت دون ريب ان تقول : ليس في ذلك اي ضير . والترجمة السيئة اجدى على الادب العربي من فقدان الترجمة .

ولكنك تجد معارضين كثيرين عندما تجزم بان بضاعتنا قليلة من الآثار العلمية المترجمة .. وهذا وهم ظاهري لا يدعمه الواقع . والا فماذا تدرّس جميع معاهدنا ومدارسنا وجامعاتنا؟ انت تعرف يا اخي سهيل اننا عالة على الغرب ، لا في تدريس العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة وحدها ، بل في تدريس تاريخ بلادنا وجغرافيتها ، حتى وآدابها ..

والوهم يكمن في اننا نضع على المنشورات العربية في هذه المواضيع كلمة تأليف ، وهي كلها في واقع الامر مقتبسة عن المصادر الاجنبية .

وفي رأيي ان التراجم الادبية الى اللغة العربية تزداد في النوع وفي الكم عندما نفرض تعليم الآداب الاجنبية بلغاتها الاصيلة في مدارسنا الثانوية ، وبذلك نخلق ملكة التذوق لهذه الآداب من جهة ، ونخلق المثقفين القادرين على الاضطلاع بترجمتها من جهة ثانية . ولعل تفوق لبنان في ميدان الترجمة مرده ضعف تعليم الآداب الاجنبية او فقدانه في مدارس

مصر وسورية والعراق والبلدان العربية السائرة . وكان شأن النشاط الادبي في سورية غير شأنه اليوم عندما كان تعليم الادب الاجنبي واجباً مفروضاً على جميع خريجي المدارس الثانوية . ولست ارى في ذلك اية سبة او غضاضة ، بل اذهب الى القول بان دراسة الادب العربي ذاته تنشط وتقوى عندما تراصفها دراسة مقارنة لادب آخر .

واما تخير ما نترجم من آثار الشرق والغرب، فلست معك في قصره على ما يعالج قضايا تمت بنسب القرابة الى القضايا العربية .. ففي ذلك تضييق لآفاقنا الادبية ذاتها وحدّ من دائرة معارفنا وتقليص لذوقنا

والرأي عندي ان نعتمد اختيار اهل الادب ذاته ، فنترجم ما ينال الجوائز الادبية المعروفة كجونقور وفيمينا وجائزة القراء الخ . في فرنسا، او نتكل على انتقاء المؤسسات الثقافية الموثوقة في الغرب ، التي تستفتي القراء والنقاد عن احسن الكتب الصادرة في عام او في عشرة اعوام او نصف قرن الخ ..

وشيء آخر لا منتدح لي عن الالحاح عليه ، وهو تصدير كل اثر مترجم بمقدمة عن مؤلفه وجملة آثاره ومنحاه الفني ومذهبه الفلسفي . وبذلك يصبح للقاريء العربي فكرة شاملة عن التيارات الادبية العالمية ، وتتجمع له ثقافة واعية تعينه على وضع الاثر المترجم في موضعه الزمني والفني .

اللغة والقومية

دعوت منذ هنيهة الى تدريس ادب اجنبي بلغته الاصيلة في معاهدنا الثانوية . واجزم ان دعوتي هذه لا تعارض في شيء دعوة الدكتور كمال الحاج الى تعميم اللغة العربية في مدارس لبنان وجامعاته . فالمحافظة على عفاف الشعور القومي والمحافظة على عفاف الشعور الانساني تقتضي النطق والتفكير والاحساس بلغة الوطن الام، كما يثبت ذلك الدكتور الحاج اعمق اثبات . والاستمرار في جزء من الوطن العربي على « التأجنب » اللغوي هو سفاح فكري لا يستقيم معه خلق ولا ينهض شعور ولا يتبلور كيان .

والذين تناهدوا للدفاع عن لغتنا الفصحى وامكان صقلها وتسليكها وتنمية قوتها الادائية ، والذين تجندوا لمحاربة انصار العامية كثيرون . لكنني معزهو بالاعتراف ان محاضرة الاستاذ الحاج عن اللغة والقومية وفيما يتعلق بمشكلة التعليم في لبنان قد توجت كل ما قيل قبله .

واحب ان اعتقد ان صديقنا الدكتور انيس فريحه -- والدكتور الحاج يضعه في طليعة المحامين عن العامية -- قد اخلى قلاعه المتداعية عندما تقبّل دون تحفظ المقدمة التي وضعها لكتابه « اللهجات العامية في لبنان » استاذنا الكبير ساطع الحصري .

واحب ان اطمئن الدكتور الحاج ان اللغة العربية ، حتى في شكلها الحالي ، لم تعد عاجزة عن ان تؤدي كل معاني الارتقاء العلمي ، فالتعليم في سورية ، بمختلف مراحله الابتدائية والثانوية والعالية، وبتنوع فروعه الطبية والرياضية والطبيعية والفلسفية ، يبذل باللغة العربية وحدها .

ازمة القيم في المجتمع العربي

لا خلاف في الرأي بيني وبين الاستاذ عبد الجليل حسن في مقاله التحليلي عن « ازمة القيم في المجتمع العربي » . فالظهار بين ما يمكن ان اسميه بالجيل الغيبي وبين الجيل الوجودي هو ابرز ما يفصم الكيان العربي القائم . وفي كل بيت عربي يتعايش تحت سقف واحد وعلى غير تفاهم أب يفيء في سلوكه اليومي الى واحة السعادة في الرضى والتسليم ، وابن قلق متحرق ، تحلل من الولاء للمفاهيم التقليدية المعطلة للوجود الجدير بالوجود .

ولكن الصراع المرير ليس كما وضعه الاستاذ عبد الجليل حسن بين المؤمنين بالمشيئة الميتافيزيكية وبين الشخصيات الهامشية المتنكرة للماضي والمتطلعة الى لندن او باريز او نيويورك او موسكو .. بل هو الصراع بين المؤمنين بقدرة العرب على الاستمرار في البقاء خير البقاء ، المدركين ان الديانة -- كل ديانة -- لا تعارض القومية التقدمية، وبين الذين اتخذوا الدين مركباً وطيئاً لارضاء نهم ذاتي وكسب منفعة شخصية . هؤلاء هم بلية الشرق العربي وعلة فساد النظم الديمقراطية فيه . وهم الذين استغلوا ولا يزالون يستغلون جهالة الجماهير ونزعتها التقليدية الموروثة .

القاهرة　　　عزة النص

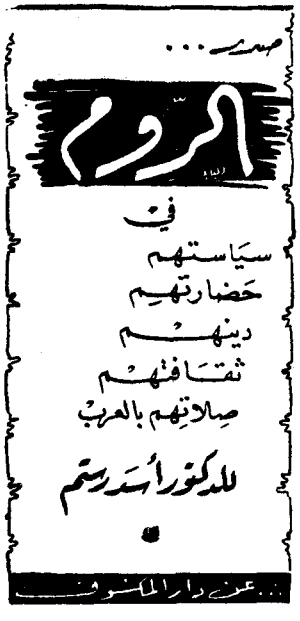

القصائد

بقلم صلاح الدين عبد الصبور

شعر هذا الجيل هو - بلا غرور - الاتجاهة الصحيحة بالشعر العربي الى ارض الشعر. فقد كان شعراء الاجيال الماضية يحلقون بجناحين زائفين وربما هوّموا في غير ارض، وقد يحط احدهم حطة قصيرة ريثما ينقر نقرة ثم يطير في سماء جهام. اما هذا الجيل فهو جيل المخاطرات، اقدامه مغروزة في الطين، ويداه بالحياة غضتان، وعقله كوني مستنير، وقلبه مبتهج وقلمه شريف.

هذا الجيل يصنع اعمالا كبيرة. ولكن مجده الحقيقي انه يطمح دائماً الى الاكبر، والقفزة الرائعة قد تكسر عنق القافز ولكنها - رغم ذلك - مجد يوقظ الاعجاب الرائع او الالم الرائع.

ولذلك فلنا اخطاؤنا، ولكن هذه الاخطاء هي وسامنا لاننا نرتاد قارة ونستكشف نهراً، ونبني قلعة .. في ارض الشعر.

ويقول بعض الناس « لقد سقط شعركم في وهدة القالب، واصبح افكاراً مكرورة. » وهل نجا شعر من القالب ؟ لقد كان الفتى عندنا اذا بلغ مبلغاً ضئيلاً من العلم باللغة وجد حقاً له ان يقول الشعر. وكان نموذجه هو « قفانبك » و « رمى القضاء بعيني جؤذر أسداً ». واغلب الظن ان كثيراً منهم كان يجلس في منظرته وامامه اماليه واغانيه وعقده. ثم يهرش قفاه ويكتب ما شاء الله له. ويذيع ذلك في الناس فيسمعون متجملين اول الامر فاذا اثقل عليهم بشعره جبهوه بالقول الغليظ فاذا عاد فالفكاهة اللاذعة، حتى اصبح النـاس في واد وهذا الشيء الرفيع في واد آخر، الى ان اتى جيلنا فصنع وصنع. وتلفت الناس ليجدوا حياتهم. واقبلوا على هذا الشيء وجلين اول الامر. فلما ذاقوه اساغوه ووجدوه طيباً. اما تلك الناشئة التي كانت تقلد « رمى القضاء بعيني جؤذر اسداً » فقد اخذت تقلد هذا النمط الجديد الصاعد. وسقط بعضهم في وهدة القالب ولكل فنٍّ عظيم صرعاه. وهؤلاء هم صرعى الشعر.

لقد اطلت في هذا واشباهه. ولكن الشفاعة ان هذا كلام امتلأ به الصدر وغمغم به اللسان. وما قلت كل ما كنت اريد. فليكن الباقي من عندك. ولننظر في شعر العدد.

في المغرب العربي - للشاعر بدر شاكر السياب

في هذه القصيدة محاولة شكلية طيبة، وهي المراوحة بين وزنين. ولكن مما يعيب هذه المحاولة انها بلا منهج ملتزم. فقد كان الاوفق ان تثنى الاصوات في القصيدة. فصوت ذو نغم يحكي الحاضر. وصوت ذو نغم آخر يحكي التداعيات. وقد نتج عن التداخل بين الذكريات السالفة والكفاح المعاصر المغرب العربي ان ظن بعض من اعرفهم من القراء ان السيد السياب يهاجم الدين لبعض التعبيرات مثل :

وهذا قبرنا : انا ومحمد والله

ومبلغ فهمي للقصيدة انها اسلامية الاتجاه. بدليل تداعياتها الى الاحباش في مكة والتتار في بغداد والمسيحيين في الاندلس. كما ان المفارقة التي بنيت عليها القصيدة هي اننا نحن المسلمين مازلنا نؤمن بالله في حين ان البغايا الباريسيات يتخذن وسائدهن من لحم المسيح. ولهذا فان الغرب يحاربنا نافساً علينا ايماننا بالله.

اعاد اليوم كي يقتص من انا دحرناه ؟
وان الله باق في قرانا مما قتلناه
ولا من جوعنا يوما اكلناه
ولا بالمال بعناه
كما باعوا

وهذا الفهم للكفاح في المغرب خاطىء تماماً. فليست هي صليبية اخرى. يُنتصر فيها بان نبعث محمداً والله. فان الفهم الواقعي الحيوي اعمق من هذا بكثير، واشد بعثاً على الحماس والقتال. ولي ملاحظة صغيرة وهي ان الذي اكل الآلهه هم العرب كما حدثنا السيد السياب في قصيدة سابقة له. وشيء اخير وهو اني لم استطع ان اعرف وزن هذه الابيات :

(ان يرى ظلاله على الرمال)
ثم فامسى تأكل النيران من ممشاه
(ويركله الغزاة بلا حذاء)
بلا قدم
وتنزف منه دون دم .. الخ
فيا قبر الآله على النهار
(ظل لالف حربة وفيل)
ولون ابرهة
(وما عكسته منه يد الدليل)
والكعبة المخزونة المشوهة

اللاجئون – للشاعر موسى النقدي

قصيدة متواضعة. اخشى ان تكون قد سقطت في وهدة (القالب الحديث) ولا ادري لماذا اجد فيها ارواح شعراء آخرين. وهذه التأثرات لم تصهر كلها في بوتقة واحدة بعد. فشاعرنا المكافح ذكر الحبيبة في السطر الثاني، ثم لم يدخلها في بناء القصيدة كعنصر من عناصرها. وهذا الشاعر المكافح يجعل نفسه طفلا في خوف من الاشباح يبحث عن ضياءثم يريد بعد ذلك ان يصارع الليل ويعلن نقمته على الاغاني الباكيات التي هي كالمجامر في الجليد (لماذا ؟) وهل يكون الليل رمزاً للمحنة والقمر رمزاً للنور المرتقب ؟ لعل. ولكن اما كان يجدر بالشاعر ان ينتظر بالقصيدة حتى يتم استواؤها ؟

هي والحرية والاخرون – للشاعر كاظم جواد

هذه القصيدة هي احسن ما قرأت للشاعر كاظم جواد. ففيها نغمة عاطفية عذبة. وروح شاعرة منسابة. لم يفسدها التعقيل او اصطناع المواقف، والالتفاتة الاخيرة الى الناس مشرقة حقاً. وموسيقية القصيدة ذات وقع عذب رقيق وإن كنت لم افهم بعض التعبيرات مثل :

وكان ان صادفتها (ترتدي غابات عينيها شذى قلبي)
و شمس نهار الليل في دربي
و مصرع همس الضوء

كما ان لي اعتراضاً صغيراً على العنوان فعناصره لم تمثل في القصيدة بالعدل، وإلا فاين الحرية؟

واخيراً ما وزن :

فلم يعد يسمع اطفالنا (عن قصة الحمل مع الذئب)

حتى النفس الاخير – للشاعر سمير صنبر

لا ادري لم انصرف عن كثير من الشعر المقول في نكبة فلسطين اسفاً. اترى هذه النكبة لم تهزنا الى الحد الذي يفتق قرائحنا ؟ الا تستطيع هذه النكبة ان تجد تعبيرها الخاص ؟ لمَ نلجأ الى التأوهات الصارخة، والهتافات العنترية الجوفاء ؟ والتأوهات تلبس الفاظاً جديدة ولكنها لا تعدو ان تكون تأوهات.

ضاعت مرابعنا وضاع المجد والحلم العظيم

والهتافات العنترية تتخذ هي الاخرى الفاظاً جديدة. ولكنها ما زالت (عنتر بن شداد) في بذلة ومعطف بدلا من شملته البدوية

وغدا سنحفر قبرهم ... شيء جديد(لماذا) ؟
لا شيء غير السجن والتشريد والدم والقيود
وهتاف شعب لن نحيد

ثأر وحب – للشاعر القاسم عبدالله

هذا كفاح المغرب ثانية في تعبير مباشر يتخذ عناصره من الوطن والحبيبة والرفاق. وفيه مشاهد جميلة للارض التي يتوجه اليها الشاعر بشعره. كما ان ذكر الحبيبة اضاف الى القصيدة ملمحاً انفعالياً جديداً. وفي القصيدة حدة ونغم مندفع.

ولكن القصيدة – رغم ذلك – لم ترتفع الى ذروة ولم تحلق في سماء. فمعانيها سهلة المأخذ تكسوهاالقوافي والموسيقى بحلة فخامة شكلية.

وليصدقني الشاعر ان قوله :

فمن اطل من عدونا
كناله من فورنا القدر

دفع الى ذهني مشاهد السينما الامريكية وشجاعها. وانت ادرى ان الخلاص من الاعداء ليس سهلا الى هذا الحد .. يا ليت.

. . . .

لم يبق من شعر العدد الا لحن لصلاح الدين عبد الصبور، وقد رأى كثير من الاصدقاء انها قصيدة طيبة، بينما قال احدهم انهارديئة، والامر لكم وارجو المعذرة.

القاهرة **صلاح الدين عبد الصبور**

صَدَرَ حَدِيثاً
بقلم الأب يوحنا خوري
رد على ميخائيل نعيمة
في مرداد
• مقدمة كتبها سعيد عقل • تمهيد للأب نقولا أبي هنا
الكتاب الذي يجب أن يقتنيه كل أديب وفيلسوف ولاهوتي
يباع في عموم المكاتب في لبنان والبلدان العربية

القصص

بقلم عائدة مطرجي ادريس

«ستنقدين انت القصص هذه المرة» . هذا ما قاله لي زوجي، فضحكت، وعرفت انه في مأزق. انه ما زال منذ أيام ينتظر لقصص العدد الماضي نقداً وعده الاستاذ يحيى حقي به ، ولم يرسله له بعد . واذ قطع الامل ، وقف حائراً يفكر، ثم بادرني بلهجة رئيس التحرير: «ستنقدين انت القصص. اليس كذلك؟» فلم اجب . لقد احسست بارتباك شديد. ماذا يريد من وراء ذلك؟ انه قلما ينبئك بفكرة له قبل ان يعركها بعقله ، ويتمثل نتائجها واضحة بيّنة . ما هو بالمازح اذن . فلعله يبغي من وراء ذلك ان يحدد امكانياتي ويحصرها حتى تبدو ضئيلة، صغيرة فيحطم عجرفة تقفز في بين فينة واخرى كلما عرض علي شيئاً يود نشره سواء من انتاجه او مما يرده من مواد للمجلة، كانت نظراته تعني: « افصحي الآن لنرى!» افصحي عن «موهبتك» بالفاظ وجمل ستتحملين انت وحدك نتائجها. انه ما زال يحمل في نفسه لي بعض الضغينة . لقد آلمه منذ اول اجتماع تمّ بيننا ان انقد « حيه اللاتيني » المدلل شفهياً بشيء من الاذى من غير ان اتحمل بعد ذلك نتائج ما قلت . من يدري ؛ لعله اعتبر «هذه الصغيرة » مجرمة في دنيا النقد، فبات ينتظر فرصة مواتية ينتقم فيها لنفسه! وها هي الفرصة تسنح. انه اكبر نصر يسجله علي. فهو يوقعني اليوم في حفرة تحرسها ألسنة قصاصي هذا العدد وقرائه ، وكلها مسنونة حادة. ولعل هذا الافتراض قد اقترن بآخر، فلقد بلغ به مبدأ الاخذ بحقوق المرأة حداً جعله يتطلب منها ان تشركه في جميع نتائجها. فلتتحمل اذن هذه الحقوق، ولتتحمل كشريكها الرجل كل ما يتحمله .

يجب ان يشرفني في الثناء – ان كان هناك من يثني على « طفلة » ما تزال تحبو في دنيا الادب – وان آخذ نصيبي من الهجوم يوم يكال لي ، كما يأخذه هو. ولكن الصاعقة تظل على رأسي اثقل، فسيجد اكثر مني فرصاً امامه يهزأ بي فيها ضاحكاً شامتاً . وما اخال نفسي الا في هذه الحالة يوم انشر على الناس نقدي الخافت فيضحك هو ، واحني رأسي انا .

ومع ذلك فسأمضي. ما يدريني انني خلقت لأخب في هذا الميدان ، وان كان لا بد لي من ان اتعثر . ولكن بيدي سلاحين يشدان في همتي ويدفعاني في نهاية الامر : صراحة وجرأة يجعلهما شرعيين بعض اطلاع وبضعة معلومات كونتها من نقد وقراءة القصص الاجنبية .

لا بد ان يكون اول حاقد، وربما سلط علي لسانه السيال، هو الاستاذ مطاع صفدي. ولكنني سآمن شره ، اذ اعترف بأن قصته « دقت الساعة منتصف الليل» كانت موفقة، وهذا شعور توحيه القصة للوهلة الاولى . وان كانت تعيد الينا – نحن قرّاء الآداب – خيال بطلة يدور حول وجودها بعض التباس رسمها لنا قصاص بارع هو عبد السلام العجيلي في «سالي». هنا في هذه القصة وهناك، يعيد وجود فتاة تعيش وتتحرك صورة لفتاة اخرى عاشها الكاتب من قبل او عاشت في مخيلته . ولعل جمال قصة الاستاذ « العجيلي» وتثبيتها في ذهننا هما اللذان جعلا الشبه يقفز اذ نرى تقليده هنا في هذه القصة .

ولا بد لنا من النفاذ قليلاً لنوفي النقد حقه . واول ما يهمني في هذه القصة هو ان اسجل شيئاً كثيراً ما كنت احسه كلما طالعت قصة للاستاذ صفدي . ان التوفيق يحالفه ما دام صادقاً مع نفسه ، يسجل على الورق الفاظاً هي خميرة شعوره وافكاره واحساساته تلك الملتهبة ، احساسات هذا الجيل الذي يسحقه واقع الحياة المرير، المتربص له دوماً بعيون تقدح شرراً، واقع حياته وبيئته وامته ، هذا الجيل الذي لا يسعه الا ان يهرب منه بعض الوقت ، يفرغ همومه في كؤوس من الخمر متحرق احشاءه وتصدع شعوره فيضيع عن نفسه ، ويفقد حس الزمن ، هذا الحس القتال للذين يتوقعون من حياتهم معنى ، فيظلون في مكانهم والارض من حولهم تدور ... والسنوات تكر ..

ان نفسية كاتبنا ، هي في الحقيقة نفسية هذا الجيل الممزق. انه يعني عذابه وعذاب الآخرين من بني امته ، اولئك الذين تعفّن فيهم الحرمان . وهو يمثل خير تمثيل هذا الشباب الذي يبحث عن نفسه وعن معنى حياته وسط هذا الجو من العبث الرهيب المحدق به من كل جهة « ماذا اتيت افعل هنا ؟ » ليت هذه الكؤوس وتلك الراقصة تشفيانه من جحيمه ، اذن لهان الامر . ان في نفسه توقاً الى الانطلاق ، الى الانفلات من هذه القيود التي تكبله « اود ان أكون تطلعاً » وان في نفسه لثورة تندلع ، فيحاول ان يقذفها خارجاً عنه علها تخفف من لهيبها . ولكن هيهات ان يفهمه مجتمعه! انه فنان ، والفنان يلتقط ارق المشاعر ويضخمها . انه بتعبير آخر يستبق الزمن

وهو مع ذلك مضطر الى ان يعيش حياتهم هم ويشاركهم فيها وهذا هو مصدر آخر لعذابه « انا اعبر عن الثورة باداة الثورة وبعلمها وفنها . واما هم فلم يعرفوا بعد انهم يعدون لجيل الثورة، لتاريخ الثورة » .

هذا الجو الذي خلقه الاستاذ صفدي لنفسية البطل كان على غاية الصدق كما ان الابعاد الخارجية لهذا الجو كانت تتلاءم معه تلاؤماً قوياً ، آفاق مقهى معتم في مدينة كبلتها قيود التقاليد فسعى اليه اهلها يفرغون كؤوسهم على انغام خفيفة توقع ، وراقصة اجنبية تتهادى ، وخـــادم يسرع في تلبية الطلب « تشده الى الارض دائماً كلمة حقيرة : امرك »

لقد وفق الكاتب في خلق هذا الجو ، لانه كان صادقاً في التعبير عن هذه الاحساسات التي عاشها حتى اصبحت جزءاً من كيانه الحي ، فلما اراد ان يعبر عنها على الورق لم تخنه ، بل اندفعت سلسة لا تعوزها الصورة ولا تنقصها المفردات ولا نبضات الحياة الحارة .

وليس الامر كذلك في خلقه جو نفسية الراقصة ، انه جو مصطنع ونفسية لم يحتك بها الكاتب . ولكنها جاءت هنا بنت عقله ، جاءت ليحملها اقوالاً وآراء لا يتسع له المجال للتعبير عنها . انه يقر بكونها مجرد راقصة . ومع ذلك فهو ينصبها ضميراً للانسانية التي لا يسعها ان تغفل عن الحقيقة الكبرى ، وهي انه كان للعرب – في الاندلس – فن يحمل فيما يحمل طابعاً خاصاً بهم. ولكن هذه المهمة التي حمّلها للراقصة الاجنبية لا تتلاءم مطلقاً والواقع . اي شيء ياترى يربط هذه الاسبانية بالقضية العربية الكبرى ؟ وما الذي دفعها الى ان تغضب وتثور لاحتقار الاوروبيين العرب ؟ لقد احس الاستاذ صفدي نفسه بالمأزق يحدق به فجعلها تتساءل في نفسها عن سبب غضبها « ترى وما في ذلك لكي اغضب ؟ » الأن اجدادها ، بل اجداد اجدادها كانوا من اصل عربي ؟ لا اعتقد ان هذا الموقف معقول، مهما كان اعتراض البعض قوياً في ان بعض دم عربي ما زال يتسرب في عروقها وان ماضياً مجيداً مايزال حيـــاً بآثاره لا يمكن ان يفنى ، بل سيظل يتغلغل وينتقل جيلا بعد جيل بالرغم من الانفعالات الكثيرة التي تطرأ على امته .

لا شك ان للوراثة اثرها الشديد في كيان امة ما. ولكن الوراثة ، لكي تظل لها فاعليتها يجب ان تنتقل من جيل الى جيل . والوراثة العربية ، لم ينته اجلها منذ افول آخر عربي من ارض الاندلس ؟ واسبانيا اليوم ، الا تعيش حيـــاة اوروبية – سياسياً واجتماعياً ونفسياً – وشعبها يعيش تلك الحياة واصبح يتميز بها ؟ ذاك انه بات من الضروري ان ينسكب في بوتقة بيئته وتاريخه، فكيف يعقل اذن ان تثور – راقصة اسبانية – فتهجر زوجها وبيتها وتتيه في الارض راقصة متشردة لتدافع عن مجد العرب التليد؟

ولعل ما يزيدنا في الاعتقاد بأن شخصية البطلة هنا جاءت مصطنعة ، مفسدة للجو القصصي الذي خلقه البطل، ان الكاتب لم يحسّ دورها احساساً قوياً تغدو معه قطعة من كيانه الفني، فهو يخاطب الراقصة الفرنسية « لماذا اخترتني من بين الحاضرين، انا بالذات؟ » والواقع الظاهر من سياق القصة ان هذه الراقصة لم تختره ، بل لم تلحظ وجوده بين الحاضرين وانه هو الذي بعث يطلبها اليه . فما معنى قوله لها « لماذا اخترتني » ثم يتركها تجيب « انك لا تبدو مثلهم » . أتكون الراقصة قد سعت اليه في الوقت الذي بعث يستدعيها؟ قد يكون ذلك، ولكن تسلسل القصة لا ينبيء بهذا، بل يبلبل القارىء ويقطع عليه لذة المتابعة اذ يدفعه في غمرة القصة الى التساؤل والبحث والرجوع اكثر من مرة الى الوراء ليرغم نفسه على الانتباه، وهذا غير مستحب في سياق القصة ، والقصيرة منها بنوع خاص . ولئن كان من المستحب ان يخلق القصاص جواً من الغموض ، فهذا لا يعني ان يتجاوز الغموض حده ويفضي الى الطلسم، الذي هو اكبر عنصر معيب للقصة على ما اظن ..

هذا هو المأخذ الكبير الذي يعيب القصة . جـــو ان متناقضان يستوليان على القارىء : جو من الواقعية المحض – جو البطل – وجو من المثالية المتعالية – جو البطلة – لا يربط بينهما شيء . بل تبقى الحفرة فاغرة فاها .

ومع هذا تبقى القصة ممتعة تستولي على القارىء وتحرك فيه لذة العين والقلب والفكر ، فالصور فيها زاخرة حية ، والاحساس صادق ، حار ونبيل، يتمثل خاصة في تصور مأساة البطل وتعلقه بابناء امته ، والمعلومات – المستمدة من الفلسفة الوجودية بنوع خاص – وافرة عميقة .

الكلمة الاخيرة — بقلم م. الزعبي

نداء بقالب قصة يوجهها شاب الى « كل فتاة لا تنظر الى ابعد من صدرها » . وكان احرى به — اقصد بطل القصة — ان يوجهها الى كل شاب ينسى نفسه ويقذف بمبادئه ويضغط على ضميره فيحلل لنفسه كل شيء ساعة تلف ذراعاه عنق امرأة . اية امرأة كانت ! ما كان اجدره ان يتعظ هو قبل ان يعظ هذه «المومسة» كما يسميها ، وان يدرك معنى الشرف ويسير على هديه قبل ان يدعو اليه فتاة غمرها الفسق ولم تكن هي الوحيدة المسؤولة عنه ، وانما كان الرجل شريكها في الجريمة ايضاً . كيف ينكر عليها تلبيتها لنداء جسدها — هذه التي حرمها المجتمع ان تشعر بأية متعة سواها — ويبيحها هو لنفسه ، ومعها ، هو المتزوج المحب لزوجته كما يدعي ؟ لماذا لا يستطيع ان يتلفظ باسمها ، الأنها ارتدت بعد عامين من وعظ متواصل كان يجدر بها من بعده « ان تدرك انها لم تخلق عبثاً ، وان امة بكاملها ترزح تحت نير الفقر والجهل والمرض والاستعمار بحاجة اليها » . والواقع لو فطن البطل لادرك انها ارتدت منذ اللحظة التي شعرت بضعف الرجل فيه الرجل الواعظ ، الذي تنهار ارادته امام مفاتن جسدها . لقد احس هو بغلطته فاجابته « بأن هذا شيء طبيعي » . فكان « عزاء له » . والحقيقة انه لو كان مخلصاً صادقاً في ما كان يدعو الفتاة اليه لشعر بخطيئته الكبرى ولما سكت عنها واوجد لنفسه عذراً .

ولا بد لي من كلمة صغيرة اقولها في مغزى هذه القصة ، فلن تصل امتنا العربية الى ما يطمح اليه الشباب ان تكونه الا اذا تحمّل الرجل فيها مسؤوليات ذنوب يشارك هو نفسه المرأة في ارتكابها .

اللاجئون: لبيرل باك ، ترجمة سليمان موسى

ليس في استطاعتي ان احكم على الترجمة من حيث هي ترجمة ، ولا على دقتها وأمانتها في النقل ، لأنه لم يتح لي ان اطلع على الأصل . وسنفرض ان المترجم قد ادى جو القصة الحقيقي بما فيه من دقة شعور ورهافة حس . فهي قصة جميلة دون ريب . ويبعث هذا الجمال شيء من الرهافة البالغة لا يستطيع المرء احياناً كثيرة ان يعبر عنها ، يضاف اليها بساطة غريبة مستحبة . ومع هذا فالشعور الانساني يصرخ فيها . انها قصة قوم من اللاجئين اضطرتهم المجاعة الى ان يبتلعوا آخر ما تبقى عندهم من بذور للزرع فرحلوا عن اوطانهم بعد ان اجتاحت اراضيهم السيول . من هذا السرب الهائل من اللاجئين شيخ مسكين اثقل الجوع والحمل والتعب جسمه الهزيل فارتمى على حافة طريق . ومر به رجل قد استنفد اللاجئون كل ما تبقى في جيبه من النقود الا قطعة من الفضة ابى عليه شعوره الانساني ان يحتفظ بها حين مر بالشيخ . وبعد تردد قصير وضع في يده المرتجفة هذه القطعة الفضية واردفها باخرى نحاسية هي آخر ما تبقى في جيبه . ولكن هذا الشعور الانساني يتجلى اكثر من ذلك في نفسية الشيخ الذي ابى ، على جوعه ، ان يشتري بالقطعة النحاسية الاخرى شيئاً لنفسه . فهو يود ان يخبئها ليشتري فيها بذوراً لحفيده يزرع فيها ارض آبائه من بعده . وهذه الحركة تظهر لنا اعمق شعور بدائي عرفه البشر ، الا وهو التعلق بارض ورثت عن الاجداد ، وحب المحافظة عليها ونقلها من جيل الى جيل ، هذه المحافظة وهذا النقل يمنحان الانسان الشعور بانه لن يموت ، بل سيخلد في احفاده . .

ولقد ذكرتني هذه القصة القصيرة باخرى عرفها العرب ، تشبهها الى حد بعيد ، تتلخص بهذا القول الذي يردده كثيرون « غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون » .

ولعل الذين فرضت عليهم الهجرة من ابناء فلسطين يشعرون اكثر من غيرهم بهذه المأساة التي تكمن في الحنين الى ارض درجوا عليها منذ الصغر واقتاتوا من نباتها . وهم اشد شعوراً من غيرهم بعزة اللاجيء التي تفرض عليه بالرغم من الجوع ان يحتفظ بكرامته كما فعل هذا الشيخ الهرم الذي ابى ان يستجدي ، وصرّح للمحسن اليه انه من قوم ما تعودوا الاستجداء يوماً ، بل اضطرتهم السيول ان يرحلوا عن ارضهم .

***

وبعد فلا اظن انني قد وفيت النقد حقه . ولا اعتقدني قد سددت فراغاً كان تخلف الأستاذ حقي سبباً له . انها محاولة ، وعسى ان تفلح فيما بعد .

عائدة مطرجي ادريس

الى القراء

ضاق نطاق هذا العدد عن استيعاب مواد كثيرة كان ينبغي ان تدرج فيه كعدد من « المناقشات » الهامة وسواها . وسنستدرك ذلك في العدد القادم.